المحاضرة الثالثة: عهد البايلربايات 1519-1587م.

يعتبر عهد البايلربايات أول مراحل الحكم العثماني في الجزائر (1519-1587م)، حيث حكم خلالها البايلرباي الجزائر (أمير أمراء)، فبعد "مقتل عروج في الواد المالح سنة 1517م"[1]، أيقن خير الدين أن مقاومة توسع الإمبراطورية الإسبانية في ظل الانهيار الذي كانت تشهده دويلات المغرب الإسلامي غير ممكن خاصة وأن الفوارق العسكرية كبيرة بين جيشه والجيش الاسباني، الأمر الذي جعله يميل بجنبه نحو السلطان العثماني ويطلب الانضواء تحت الراية العثمانية سنة 1518م.

والبايلرباي هو لقب يعني باي البايات أو أمير الأمراء حيث شاع هذا المصطلح في الفترة الوسيطة والحديثة ... واستخدمه السلاجقة والدولة الإلخانية خلال الفترة الممتدة بين سنتي 1252-1335م، ثمّ الدولة الصفوية، كما استخدمه أيضا القلات في الدولة الباكستانية ولاحقا الدولة العثمانية وذلك بدءا من القرن 14م وحتى أواسط القرن التاسع عشر[2]، وأما نظام البايلربايات فهو حكم يسيطر فيه البايلرباي على مقاليد السياسية والاقتصادية والإجتماعية، كما أن للبايلرباي القدرة على تعيين وإقالة العديد من رجال الدولة والمشايخ الخاضعين لسلطته.

محاور المحاضرة:

1- انتصاب حكم البايلربايات في الجزائر 1519-1540م.

2- حملة شارلكان على الجزائر 1541م.

3- تطور نظام البايلربايات 1543-1587م.

---

[1] Kamel Filali, L'Algérie mystique : Des marabouts fondateurs aux khwân insurgés, XVe-XIXe siècles, Paris, Publisud, coll. « Espaces méditerranéens », 2002, 214

[2] ينظر: The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Volume I: A–B. Leiden: E. J. Brill.

4- علج علي آخر الريّاس العظماء 1568-1587م.

5- نهاية عهد البايلربايات 1580-1587م.

6- خصائص ومميزات عهد البايلربايات.

1- انتصاب حكم البايلربايات في الجزائر 1519-1540م:

كان أول بايلرباي نصّب على الجزائر هو خير الدين بربروس سنة 1519م، حيث لعب دورا بارزا في تثبيت حكم البايلربايات في المنطقة، معتمدا في ذلك على تقوية رجال البحر العثمانيين، وقدد استطاعت طائفة الرياس بفضل جهوده الحثيثة الحفاظ على سلطتها وحماية مصالحها، وبذلك استمر حكم البايلرباي في الجزائر حتى أواخر القرن السادس عشر.

تمكن خير الدين في بداية عهدته من رد الحملة الإسبانية على الجزائر سنة 1518م، تحت قيادة هوغو دي مونكادا، وهكذا تفرغ للقضاء على مملكة كوكو وقائدها ابن القاضي، بسبب تحالف الأخير مع الحفصيين، ويذهب فريق آخر من المؤرخين إلى أن توتر العلاقة بين الطرفين مردّها إلى عدم تقديم "ابن القاضي الدعم اللازم لعروج في حملته على تلمسان الأمر الذي أدى إلى مقتله".[3]

جهّز خير الدين حملة عسكرية تمكن بواسطتها من ملاحقة أحمد ابن القاضي حتى القل، غير أن الأخير استطاع الفرار نحو عنابة التابعة للحفصيين، حيث لقي هناك كل الدعم من الملك الحفصي، "الذي أرسل له جيشا وأوكل له مهمة قيادته ضد الاتراك، أين التقى الطرفان بالقرب من سهل يسّر، وهناك ألحق ابن القاضي هزيمة نكراء بخير الدين، ما جعله مجبرا على الفرار نحو جيجل، وإرسال تعليمات صارمة إلى أتباعه المتواجدين في العاصمة من أجل اللحاق به، في الوقت الذي

[3] صالح عباد، مرجع سابق، ص51.

أكمل ابن القاضي مسيرته نحو الجزائر العاصمة، فاستولى في البداية على متيجة ليدخل بعدها الجزائر العاصمة سنة 1520م".[4]

والحقيقة أنّ ابن القاضي لم يكن أحسن من الأتراك في تعامله مع أهل الجزائر العاصمة حيث استقر في المدينة خمس سنوات كاملة أي بين سنتي 1520-1525م، وفي المقابل تمكن خير الدين من التحالف مع أمير بني عباس عدو ابن القاضي الأول، ليبدأ الأتراك انطلاقا من جيجل في التوسع نحو الشرق الجزائري، أين استطاعوا إلحاق قسنطينة سنة 1520م ، والقل سنة 1522م، وكذا عنابة سنة 1521م.[5]

كان الوضع العام قد خلى لخير بشكل مناسب لأجل استعادة مدينة الجزائر، فبالإضافة إلى إخضاعه العديد من المناطق التي كانت تتبع لابن القاضي، فإن خير الدين قد تمكن من اكتساب شهرة واسعة في الأوساط الشعبية نتيجة حملاته البحرية الناجحة على السواحل المسيحية.

جهّز بربروسة حملة عسكرية ضد ابن القاضي، والتقى الجمعان في منطقة معبر أولاد بوغدورة، حيث هزم ابن القاضي هزيمة شنعاء، انسحب على إثرها نحو بني عائشة حيث اندلعت هناك المعارك بين الجانبين في اليوم الموالي، أين توفي في هاته المعركة أحمد ابن القاضي نفسه.[6]

استقر خير الدين مجددا في الجزائر العاصمة سنة 1525م، حيث شرع في تقوية أسطوله البحري، ليبلغ عدد قطعه "36 سفينة"[7]، خاصة مع وجود "رياس أكفاء

---

[4]De Gramont, op.cit, p33.

[5]Haedo, op.cit, p45.

[6]De Gramont, op.cit, p34.

[7]Stanley Lane-Poole, The Story of the Barbary corsairs, New York: G.P Putnam's Sons, 1890, p59.

إلى جانبه أمثال: "الرايس شعبان وحارة الدين رايس وصالح رايس الذي سيصبح لاحقا أحد حكام الجزائر، حيث غزى الأسطول الجزائري سواحل فالنسيا وإسبانيا".[8]

لقد تزامن نشاط بربروس الخارجي مع العمل على الجبهة الداخلية، فتمكن من استعادة "قلعة البينيون من الإسبان سنة 1529م، وهزيمة أندري دوريا في شرشال سنة 1531م"[9].

أدى النجاح الباهر الذي حققه خير الدين إلىتنصيبه قائدا عاما على الأسطول الهاميوني سنة 1533م، حيث قاد في نفس السنة حملة عسكرية تمكن من خلالها فتح تونس واستعادتها من يد الإسبان.

عيّن بربروس بعد مغادرته الجزائر حسن آغا حاكما على الجزائر، وحسن آغا هذا هو رجل سرديني أسر صغيرا من قبل خير الدين في احد حملاته على سردينيا وجلب إلى الجزائر، حيث "تربي وترعرع في بيت الأخير كأحد أبنائه"، ويصف هايدو حكمه قائلا: "إن الناس لا زالوا يذكرون حسن آغا ويقولون إنّهم لم يروا حاكما أعدل منه".[10]

لعب حسن آغا دورا بارزا في إعادة بعث نشاط البحرية الجزائرية، حتى أن بلايفير يؤكد "أن صدى هاته الحملات وتأثيرها يعادل أو يتجاوز حتى تلك الحملات التي قادها خير الدين نفسه، ففي سنة 1539م هاجم السواحل الإسبانية على رأس جيش بلغ 1300 رايس، فاستولى على عديد الغنائم والأسرى".[11]

وعموما فقد شهد حكمه استقرارا وأمنا خلال الستة سنوات اللاحقة إلى غاية حملة شارلكان على الجزائر سنة 1541م.

---

[8] Haedo, op.cit, p46.

[9] صالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، تح. يحيى بوعزيز، الجزائر، عالم المعرفة، 2009، ص28.

[10] Haedo, op.cit, p53.

[11]

2- حملة شارلكان على الجزائر 1541م:

قاد شارلكان حملة عسكرية على الجزائر سنة 1541م، حيث ادعى الأسبان أن الحملة جاءت لإيقاف المضايقات الجزائرية المتكررة على السواحل الإسبانية، غير أن السبب الحقيقي لهاته الحملة مردّه إلى الهزمية الشنعاء التي تلقاها الأسبان في معركة بروزة سنة 1538م، حيث يؤكد خير الدين ذلك بقوله: "«بعد معركة بروزةprévisa... جن جنون الأسبان، فكان أن صار كارلوس يتصرف بطريقة يائسة تدعو للسخرية، وراسلني يطلب منّي أنأتخلى عن خدمة السلطان سليمان، على أن يجعلني ملكا وحيدا على كل البلاد الإفريقية الواقعة بين البحر الأحمر والمحيط الأطلسي".[12]

أقلع الأسطول الإسباني من قرطاجنّة بتاريخ الـ 19 أكتوبر سنة 1541م، حيث تكوّن من 516 سفينة شراعية و65 سفينة كبيرة من نوع الغليارة، عليها إثنا عشر ألف بحار وثلاثة وعشرين ألف جندي، ورافق هاته الحملة متطوعون من النبلاء الإسبان والألمان والإيطاليون، حتى أن البابا نفسه أرسل ابن شقيقه كولونا ليرافق هاته الحملة.[13]

وفي الجهة المقابلة لم يكن جيش المدافعين تحت قيادة حسن آغا يتكوّن سوى من 800 تركي، وحوالي الـ 500 أو 600 أندلسي أغلبهم من المبعدين من غرناطة[14]، غير أنّ سوء الحظّ قد رافق هاته الحملة في كلّ مراحلها، حيث أدى

---

[12] خير الدين،مذكرات خير الدين بربروس، تر.محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر،2010، ص193.

[13]H.D.de Grammont, op.cit, p59.

[14]Esterhazy Walsin, de la domination Turque dans la régence Alger, Paris, libraire de Charles Cosselin, 1847, p146.

هبوب العاصفة إلى تحطيم أغلب الأسطول الإسباني، حتى "أن شارلكان شوهد وهو يبكي لأول مرّة في حياته نتيجة الخسائر الضخمة التي لحقت بجيشه"[15].

كانت الخسائر البشرية والماديّة مكلفة جدا على الطرف الإسباني، أين فقد الأسبان مائتي سفينة، وأكثر من 12 ألفا بين قتيل وجريح، في الوقت الذي استطاع الجزائريون انتشال عدد هائل من الغنائم تمثّل في رفع الكثير من السفن الصغيرة وبعض الغليارات الكبيرة، وخمسمائة قطعة مدفعية مصنوعة من البرونز، ومقدار كبير من الأسلحة والتجهيزات الحربية، بالإضافة إلى كمّ هائل من الأسرى، حتى أن البعض يذكر على سبيل المزاح "بأن الفرد الجزائري كان يمكنه شراء أسير مقابل بصلة".[16]

3- تطور نظام البايلربايات 1543-1587م:

تنامى التدخل الفرنسي في الباب العالي منذ توقيع معاهدة الإمتيازات بين الفريقين سنة 1535م، حيث رأى السلطان العثماني في دعم فرنسا مانعا لأي اتحاد مسيحي يمكن أن يتشكّل ضد الامبراطورية.

والحقيقة أن هذا النفوذ الفرنسي كان ذا آثار كارثية على الجزائر ولو تدريجيا، "ففي سنة 1544م عرض السفير الفرنسي على حسن باشا منصب قائد عام على الأسطول الفرنسي بشرط أن يهاجم وهران وإسبانيا، غير أن حسن باشا رفض اقتراح السفير، الأمر الذي جعل الأخير يخطر السلطان العثماني بأن حسن باشا يريد الإسقتلال عن الباب العالي، فطلب السلطان من حسن باشا القدوم إلى الإستانة على جناح السرعة، وعزل مباشرة"[17]، أين خلفه على الحكم القائد السفاح.

---

[15]عزيز سامح ألتر، مرجع سابق، ص162.

[16]Walsin Esterhazy, op.cit, 146.

[17]مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر،1964، ص79.

ولعلّ ما يثبت إنصات الباب العالي لوسوسات السفراء الفرنسيين، هو وضع "درغوث باشا تحت تصرف الملك الفرنسي، وقد لعب درغوث دورا بارزا في الحرب الفرنسية الإسبانية، وذلك بهجومه المتواصل على الممتلكات الإسبانية بين سنتي 1547-1549م".[18]

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد حيث طلب الملك الفرنسي صراحة من السلطان العثماني، التنازل له عن الجزائر سنة 1571م، "مدعيا أن السكان الجزائريين قد راسلوه يطلبون منه تولية ولي عهد فرنسي عليهم، غير أن السلطان أعلم السفير الفرنسي أن الجزائريين يكرهون الفرنسيين ولا يطيقونهم".[19]

عيّن صالح رايس حاكما على الجزائر خلفا للسفاح، وكان أبرز ما ميّز عهده هو استرجاع بجاية من يد الإسبان سنة 1555م.[20]

كان لهذا الإنتصار وقعه البالغ على صالح رايس، حيث بلغت أحلامه عنان السماء وبدأ يفكّر جديّا في استعادة وهران من يد الأسبان سنة 1556م، غير أن الطاعون الذي ضرب فخذيه جعله غير قيادة على قيادة الجيش، الذي لم يكن من النوع الذي يصبر على حاكمه حيث اجتمع قادته وعيّنوا بدلا عنه حسن قورصو خلفا.[21]

عاد حسن باشا مجددا إلى الجزائر وعيّن حاكما على البلد، غير أنّه سرعان ما تم عزله بسبب انقلاب الإنكشارية عليه، بالإضافة إلى المخاوف التي حامت حوله، لمحاولته رفع عدد المجندين من الساكنة المحليّة في الجيش الجزائري، ونتيجة لهذا كبّلته الإنكشارية في الأغلال وأرسلته إلى القسطنطينة سنة 1561م، حيث

---

[18] المنور مروش، ج2، مرجع سابق،113.

[19] **ينظر**: De Grammont, op.cit.

[20] John Foss, p84.
[21] John Foss, op.cit, p85.

ألحقت به تهمة محاولة الإستقلال عن الباب العالي، غير أن حسن آغا تمكن من إقناع ديوان السلطان والعودة إلى الجزائر مجددا سنة 1562م.[22]

عيّن محمد باشا حاكما على الجزائر سنة 1567م، وفي عهده ضربت المجاعة الجزائر، غير أنه استطاع أن يتغلب عليها، ويألّف بين قلوب الإنكشارية وطائفة الريّاس ولو بشكل مؤقت، وأنشأ برجا يدعى "برج محمد باشا"، حيث كلّف ببنائه رجلا صقليّا يدعى مصطفى.

ثار أهل قسنطينة على الحامية التركية الموجودة في المدينة سنة 1567م[23]، ويذكر هايدو أن سبب الانتفاضة يرجع إلى أن الباي التركي انتهك "عرض أحد بنات المدينة الجميلات"، وكان من النتائجهذا الفعل مقتل أربعة أو خمسة جنود أتراك على يد أهل المدينة.[24]

جهز محمد باشا حملة على مدينة قسنطينة، قمع بواسطتها الثوار، حتى أن البعض يؤكد بأنّ "محمد باشا قد سبى النساء والأطفال وباعهم في مزاد علني"، غير أن بعض الناجين تمكنوا من الفرار نحو طرابلس الغرب، ومن هناك اتجهوا نحو إسطنبول وأعلموا السلطان العثماني بما فعله محمد باشا في عيالهم وأهل البلد، فجاء "الأمر بتعيين علج علي حاكما على الجزائر سنة 1568م".[25]

4- علج علي آخر الريّاس العظماء 1568-1587م.

---

[22]المنور مروش، ج2، مرجع سابق، ص ص135-136.

[23]ابن المفتي، تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها، تح: فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص41.

[24] Haedo, op.cit, p155.

[25]Ibid.

لعل أحد أشهر الحكام المهتدين الذين حكموا الجزائر هو علج علي ذو الأصول الإيطالية، الذي بلغت شهرته العنان، حيثغيّر اسمه من جيوفاني ديوجيدجي غالليتي ليصبح"علي".[26]

أسر علج علي من طرف الرايس أحمد سنة 1536م، واشتغل في البداية مجدّفا على السفن الجزائرية، ليترقى تدريجيا ويصبح أحد شركاء درغوث باشا في عملياته البحرية على السواحل الأوربية، ثم حاكما على جزيرة ساموس، فحاكما على الجزائر سنة 1568م، ونظير قدرته الفائقة في إنقاذ الجناح الأيمن خلال معركة ليبانتو الشهيرة عيّنه السلطان العثماني قائدا أعلى للقوات العثمانية سنة 1571م[27]، ويذكر ستانلي لان بول بعد وفاة علج علي قائلا: "لقد كان آخر قرصان عظيم... يموت في الجزائر".[28]

وفي عهده استقرت الأوضاع داخليا بفضل قدرته البالغة في مهادنة القبائل الجزائرية، وبنى برج باب الواد، وأنشأ التحصينات محيطابها مدينة الجزائر،[29] وأما على الصعيد الخارجي فقد ساهم علج علي مساهمة بالغة في دعم "ثورة جبال البشرات التي اندلعت في غرناطة سنة 1569م، أين أرسل في بداية جانفي من نفس السنة خمس سفن جزائرية محمّلة بالجنود والذخيرة والمؤن، كما بعث في أكتوبر أربعة آلاف جندي ومئات من الإنكشارية كقادة للإنتفاضة رفقة 32 سفينة كاملة، وفي سنة 1570م أرسل جنودا آخرين لدعم إخوانه الثوار، حتى أن علج علي تهيأ

---

[26] قرباش بلقاسم، اعتناق الإسلام في الجزائر خلال القرن 17م، ملتقى دولي، جامعة بريكة، 2023م، ص5.

[27] ينظر: Stewart, William. Admirals of the World: a Biographical Dictionary, 1500 to the present. McFarland 2009.

[28] Stanley Lane-Poole, The Story of the Barbary corsairs, New York: G.P Putnam's Sons, 1890.

[29] ابن المفتي، مصدر سابق، ص42.

بنفسه لمرافقة هاته البعثة، لولا وصول أخبار تفيد بأن دون خوان دي أوستريا قد شرع في التحضير لمعركة ليبانتو".[30]

5- نهاية عهد البايلربايات 1580-1587م:

نصّب أحمد أعراب حاكما على الجزائر، بسبب تعيين علج علي قائدا عاما على الأسطول العثماني سنة 1572م، وقد شهدت فترة حكمه انتشار "الطاعون الذي قتل ثلث سكان الجزائر العاصمة"[31]، والحقيقة أن فترة تولي أحمد السلطة لم تدم طويلا بسبب "الخلاف الذي شبّ بينه وبين مامي أرناؤوط، الذي عزله ونصّب مكانه مراد رايس".

لم يتقبل السلطان العثماني هذا التعيين، وأرسل إلى الجزائر القائد رمضان سنة 1574م "وهو من أصل سردييني"[32]، نشبت في عهده خلافات مع المغرب الأقصى، وذلك للتحالف الذي نهجه المتوكل مع الأسبان، أين خرج القائد "رمضان نحو فاس على رأس ستة آلاف فارس شهر ديسمبر سنة 1575م وهو منتشي بالانتصار الذي حققه العثمانيون في تونس سنة 1574م واستعادتها من يد الأسبان، فتمكن من تنصيب مولاي عبد الله على عرش المغرب ورجع قافلا إلى الجزائر سنة 1576م".[33]

خلف القائد رمضان على عرش الجزائر حسن فينيزيانو ، وفي عهده تزايد نفوذ الإنكشارية، وأصبح تدخلهم في الشؤون السياسية جليّا ، حيث "وقعوا عريضة أرسلت إلى السلطان العثماني سنة 1580م، تحصي مساوئ إدارة فينيزيانو، وحيث لم يعارض السلطان العثماني اقتراحهم وأرسل جعفر باشا حاكما جديدا على الجزائر"

---

[30] صالح عباد، مرجع سابق، ص91.

[31] Haedo, op.cit, p178.

[32] Ibid, p180.

[33] صالح عبّاد، مرجع سابق، ص98.

والحقيقة أن جعفر باشا هذا كان أحد محضيي السلطان، حيث عيّنه في بداية مسيرته حاكما على هنغاريا وبورجيا.[34]

لم ترضى الإنكشارية على جعفر باشا هو الآخر، وراحت تدبّر ضدّه الدسائس لقتله، حيث كان الهدف من كل هذا تعيين آغا الإنكشارية بن دالي حاكما على الجزائر، غير أن جعفر باشا تمكن من قمع هاته الانتفاضة، وقطع رؤوس المتآمرين يوم الـ 30 أبريل سنة 1581م.[35]

وصل القابودان باشا علج علي إلى مدينة الجزائر على رأس ستين بارجة حربية، وذلك بعد شهر من هاته الحادثة، حيث أعطى أوامره بتنظيم الجيش من أجل قيادة حملة عسكرية على المغرب، إلاّ أن الإنكشارية قابلت طلبه بالرفض، وسارعت إلى إرسال المدعو سيدي بوتكة إلى السلطان الذي أكد له عزم علج علي على الإستقلال بالمغرب العربي لنفسه، وما كان من السلطان العثماني إلاّ أن أذعن لطلب الإنكشارية مرّة أخرى وطالب علج علي بالتخلي عن مشروعه، والتوجه مباشرة نحو شبة الجزيرة العربية للقضاء على الثورة التي نشبت ضد الأتراك في المنطقة.[36]

نصّب السلطان العثماني القائد رمضان للمرة الثانية واليا على الجزائر خلفا لجعفر باشا، غير أن طائفة الرياس سرعان ما ثارت ضده، بسبب إرجاع سفينين فرنسيتن، كان قد أسرهما أحد الرياس المدعو مراد، ففر القائد رمضان نحو طرابلس الغرب، أين توفي في العام الموالي في إحدى المعارك ضد قائد القيروان[37].

[34] De Gramont, op.cit, p120.
[35]Ibid, p122.
[36] مبارك الميلي، مرجع سابق، ص116.
[37]De Gramont, op.cit, p122.

عيّن حسن فينيزيانو للمرة الثانية حاكما على الجزائر بتوصية من علج علي، حيث استمر في منصبه لغاية سنة 1588م، أين عيّن قابودان باشا على الأسطول العثاني خلفا لعلج علي الذي توفي سنة 1587م.[38]

وهكذا انتهى عصر البايلربايات بوفاة علج علي سنة 1587م، وبدأ عهد جديد سيحكم فيه الباشاوات، ويؤدي ذلك إلى انفصال الجزائر عن الباب العالي تدريجيا من ناحية اتخاذ بعض القرارات وحتى تعيين الباشاوات وعقد المعاهدات مع الدول الأوربية، أين استقلت فيه الأقلية الحاكمة لنفسها بالحكم والتدبير، وعزل العامة.

6- خصائص ومميزات عهد البايلربايات:

تميّز عهد البايلربايات بالآتي:

-أرسل السلطان العثماني إلى الجزائر ألفين من الإنكشارية سنة 1519م، وأربعة آلاف متطوع تركي.[39]

-كانت الجزائر قلب الحكم العثماني في المغرب العربي، حيث تخضع لسلطتها كل من تونس وطرابلس الغرب.

- تزامن حكم البايلربايات مع عصر الحروب الكبرى بين الدولتين العثمانية والإسبانية، حيث قاد الأسطول العثماني في مرّات عديدة حكام جزائريون، ففي سنة 1538م استطاع خير الدين القائد الأعلى للأسطول الهاميوني أن يهزم القرصان الكبير أنديري دوريا في معركة بروزة، وفي سنة 1571م وأثناء معركة ليبانتو

[38] مبارك الميلي، مرجع سابق، ص117.

[39] De Gramont, op.cit, p45.

استطاع حاكم الجزائر علج علي إنقاذ الجبهة اليمنى والعودة إلى الاستانة، ليعيّن بعدها قائدا عاما على الأسطول الهاميوني.[40]

–استطاع الجزائريون خلال هاته الفترة استعادة الكثير من الثغور التي كانت في حوزة الإحتلال الإسباني، فاستعادوا قلعة البينيون سنة 1529م وتلمسان سنة 1554م، وبجاية سنة 1555م، وطرابلس الغرب (ليبيا حاليا) سنة 1551م، وتونس سنة 1574م، في حين بقي كلّ من المرسى الكبير ووهران تحت سيطرة الإحتلال الإسباني وذلك إلى غاية سنة 1792م.

– شهدت حكم البايلربايات غارات "صليبية" إسبانية مدعمة من قبل البابا الذي طلب من المسيحيين مرافقة شارل الخامس في عمليات احتلاله للجزائر، "واعدا كلّ من رافق حملاته أن يمسح خطاياه وأن تكون الجنة موعدا لكلّ من مات وهو يقاتل الكفّار.[41]فمثلا: هاجم سنة 1519م هيغو دي مونكادا الجزائر حيث رافقه في هاته الحملة آلاف المتطوعين الذين وعدوا بالجنّة.[42]

كما قاد شارل الخامس حملة ضد الجزائر سنة 1541م على رأس قوات تكونت من 516 سفينة من نوع الغاليه والغليوطات، وعلى متنها 40.000 مقاتل[219]، "وقد رافق الحملة أيضا رجال مع عائلاتهم بهدف الاستقرار بالمدينة بعد احتلالها واستيطانها كما حدث مع العالم الجديد، لكن الحملة فشلت نتيجة لسوء الأحوال الجويّة التي أغرقت أغلب الأسطول الإسباني".[43]

---

[40] **ينظر**: قرباش بلقاسم، الأسرى الأوربيون...، مرجع سابق.

[41]Alessandra Stella, Histoires d'esclaves dans la Péninsule Ibérique, Paris: Édition de l'École desHautes Etudes en Sciences Sociales, 2000, p. 68

[42] Martin Andrew Sharp Hume, Spain: Its Greatness and Decay (1479-1788), University Press, 1899, p43.

[43] Fatiha, op.cit, p. 35.

– استدعى سنة 1543م الملك الفرنسي فرانسيس الأول خير الدين حاكم الجزائر إلى مارسيليا مع أسطوله المكوّن من 150 سفينة، وقد علّق ستانلي لان بول قائلا: "لقد أنزلت راية العذراء لتعوّض بالهلال الإسلامي"، وأما بالنسبة لأحد قواد البحرية الفرنسية فقد اعتبر هذا التحالف "اتحادا إلحاديا".

أقلع أسطول خير الدين في جويلية من ذات السنة باتجاه خليج ليون أين استقبل بحفاوة من قبل دوق إنجيان فرانسوا بوربون القائد الأعلى للقوات البحرية الفرنسية، ورغم المعارضة الداخلية التي تعرض لها الملك الفرنسي بعد تحالفه مع "الهراقطة المسلمين" على حد وصف المعارضين، إلا أنّه قرر المضيّ قدما وطلب من خير الدين قصف نيس، لكن الحملة لم تقدر لها النجاح، وعادت بعدها البحرية الجزائرية لتستقر في ميناء طولون طيلة الشتاء، حيث كلّفت الحملة الجزائرية الخزينة الفرنسية أموالا طائلة، "فبالاضافة لدفع الفرنسيين أجرة البحارة الجزائريين فإنهم أجبروا على تحرير 400 ملسم من الغاليارات الفرنسية، كما أن خير الدين حصل على الكثير من الهدايا.[44]

– تميّز عهد البايلربايات بالاستقرار السياسي، حيث شهدت الجزائر تكاتفا بين أهل البلد والسلطة التركية الحاكمة، خاصة مع استمرار عمليات التحرير التي كان يقودها البايلربايات في المناطق الجزائرية.

– سيطر الرياس على الحكم، وهكذا شهدت الفترة حكم رجال البحرية للجزائر، ويؤكد الكثير من المورخين أنّ الريّاس كانوا أكثر قربا من السكان المحليّين، إذ كان يحق لعامة الجزائريين المشاركة بأسهم عند خروج الأسطول الجزائري إلى البحر،شرط أن

[44]Stanly Lane Poole, p.105-109.

يتحصل على فوائد محددة بعد عودة الأسطول محمّلا بالغنائم؛ حتى أن النساء الجزائريات كن يضعن ذهبهن أملا في الاستفادة من تلك الفوائد.[45]

– كان للبايلراباي صلاحيات غير محدود في الحكم، وله الحق في اعتلاء العرش دون تحديد فترة الحكم إلا في الحالات التي يتجاوز فيها الحاكم صلاحيات قد تهدد الوجود العثماني داخل المنطقة، فقد عزل حسن باشا ابن خير الدين مرتين عن حكم الجزائر[46] لمشاكل مع الجارة المغرب حسب الرواية العثمانية، وفي تقارير أخرى أنّ "القنصل الفرنسي في الجزائر هو الذي وسوس للسلطان العثماني حول سلوك حسن باشا وإساءته للفرنسيين، ما أدى في النهاية إلى عزله عن الحكم.".[47]

–اعتبرت اللغة التركية لغة السلطة، والمراسلات والإدارة العثمانية في الجزائر، في الوقت الذي بقيت اللغة العربية لغة العلماء والقضاء المالكي، والتدريس، حيث اعتمدت في المساجد، والكتاتيب والزوايا.[48]

– تميّزت الحياة الثقافية خلال هاته الفترة بالجمود الفكري، حيث لم يظهر أحد من المفسّرين ولا المصلحين طيلة سبعين سنة كاملة.[49]

– قام حسن باشا بتقسيم الجزائر إلى أربعة بايلكات يحكم كل منها باي يقوم بتعيينه حاكم الجزائر:[50]

---

[45] **ينظر:** ويليام سبنسر، مرجع سابق.

[46] Handbook, op.cit, p19.

[47] **ينظر:** صالح عباد، مرجع سابق.

[48] Handbook, op.cit, p19.

[49] عبد الجليل رحموني، اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية 1520–1830م، مذكرة لنيل درجة المجاستير، جامعة سيدي بلعباس، 2015م. **نقلا عن:** Kuran E, la Lettre de d'ernier Dey d'Alger au Grand Vizir de Lempire Ottoman, R.A, n96, Alger, 1952, p95.

1-دار السلطان: توجد في الجزائر العاصمة، وهي مركز حكم البايلرباي، وتمتد من دلس شرقا إلى مدينة شرشال غربا، ويحدها من الجنوب بايلك التيطري.

2- بايلك التيطري: عاصمته المدية، يحده من الشمال سهل متيجة، والصحراء جنوبا.

3- بايلك الغرب: عاصمته مازونة ثم معسكر سنة 1710م، لينتقل في النهاية إلى وهران وذلك بعد استعادتهامن قبل الباي عثمان سنة 1792م، أين يحده غربا بايلك التيطري وشمالا سهل متيجة وجنوبا الصحراء.

4- بايلك الشرق: عاصمته قسنطينة، ويحده من الشرق تونس، وشمال البحر المتوسط وجنوبا الصحراء، وغربا بلاد القبائل.

---

[50] عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص62-63.